حل الامتحان الوطني الموحد
الدورة العادية 2019 – شعبة الآداب و العلوم الإنسانية-مسلك العلوم الإنسانية

أولا : درس النصوص

انتفض جيل من الشعراء ضد انحطاط القصيدة العربية وخفوت بريقها بفعل عوامل مركبة ومتداخلة سياسية وثقافية وأدبية. فمنهم من اختار النظم على هدي الأقدمين الذين وصلوا بالقصيدة منتهى أوجها، ومنهم من اختار المزج بين شعر هؤلاء والجديد الذي جاد به العصر. يتعلق الأمر بالبعثيين والرومانسيين على التوالي. وقد اختار أحمد رامي هذا المزج، فتغنى بالذات وأحزانها ومآسيها. وقد أسعفه في ذلك اتساع فكره، ذلك أنه درس بمصر وفرنسا حيث سيتعرَّف على أمهات الإبداعات الغربية. وقد خلّف هذا الشاعر للخزانة العربية العديد من القصائد التي وصل ببعضها إلى حناجر الفنانين أمثال السيدة أم كلثوم. أمامنا نص من رصيده الشعري بعنوان «الوحدة»، وهو عنوان يحيلنا من جهة على المدرسة الوجدانية، ومن جهة أخرى على موضوع القصيدة الذي نفترض أنه لن يخرج عن التعبير عن الأسى والأحزان وصعوبة الاتصال بالآخر. فما مضامين النص؟ وما مظاهر رومانسيته؟ وما مظاهر التجديد والتقليد فيه؟

إذا كان الساهرون قد خلدوا إلى الراحة، فإن النوم لم يجد سبيلا إلى جفون الشاعر. هذه هي الحالة التي يجد أحمد رامي نفسه عليها. وقد أسهره الحزن والأسى والماضي الذي ولى بآلامه وآماله، ومستقبل مشكوك فيه. غير أنه، وهو يعيش حالة التيه هذه، وجد ضالته في سكينة الكون التي اجتاحته، فراح يتأمل الوجود، ويستلهم منه الفن والآداب. لقد سئم رامي حياته بين الناس الذين لا يقاسمونه أحاسيسه ومشاعره. لذلك فضّل الوحدة التي من شأنها أن تمكنه من إدراك نفسه ومناجاة دواخله. ثم إن الشاعر لحظة كراهته لعوالم الناس، آنس حياة الموتى والعيش في كنفها، فتمنى أن يجد سبيلا إلى هذه الحياة الأخرى، لأنها أنقى وأطهر.

صهر أحمد رامي عدة معاجم للتعبير عن هذه التجربة الشعرية. فهناك، بطبيعة الحال، حقل معجمي يحيل على ذات الشاعر اتخذ مظاهر المعاناة وسأم عوالم الناس، والتوق إلى عوالم الموتى والأرواح. نجد هذا المعجم في ألفاظ من قبيل: «حولي، جفوني، الأسى، الشجون، خيالي...». وبالنظر إلى استحضار هذه الذات المكلومة لعوالم الناس، فقد حضر في القصيدة الحقل المعجمي الدال عليها. نجده في «ضجة الناس، سلالة، طين، عالم مأفون، هذه الدنيا». ثم إن رامي باختياره عالم الأموات والأرواح، اختار حقلا معجميا موافقا لذلك تمثل في «مرحبا، عوالم الروح، أنقى، أطهر». وهكذا يبدو أن الشاعر قد ارتبط بعوالم الناس بعلاقة انفصال، بينما نسج علاقة اتصال بعوالم الأرواح. وقد تعاضدت هذه المعاجم للتعبير عن تجربة الشاعر إزاء الوجود والكون والإنسان.

أما من الناحية التصويرية، وبالنظر إلى ترك الشاعر أحمد رامي لعوالم الناس، فإنه من المفترض حضور التشخيص بصفته عملية تعويضية يتم بمقتضاها استبدال الطبيعة بالإنسان، ثم أَنْسَنتها حتى لا تضيع الإنسانية. نجد ذلك في قول الشاعر: «حديث السكون». فقد استعار رامي من الإنسان لسانه للسكون الذي بالرغم من سكونه بمقدوره التعبير والإفصاح. استند الشاعر في التصوير أيضا إلى التشبيه البليغ في قوله: «العيش روضة أنا فيها زهرة». فقد شبه الحياة بالبستان، وشبه نفسه في هذا البستان بالزهرة التي لا تظل

حبيسة الغصن، وإنما تنشر أريجها. إلا أن هذا النشر لم يلق لدى الآخرين صدى، وإنما ضاع فلم يجد من يستنشقه. من جهة أخرى، وظف الشاعر في بداية القصيدة علاقات كنائية للتعبير عن السهر وجفاء النوم، فالعين كناية عن الذات ككل. الأمر نفسه بالنسبة إلى الفؤاد:

- عيني لا ترى النوم ⟵ أنا لا أرى النوم.
- فؤادي صاحٍ ⟵ أنا صاحٍ

وبالنظر إلى الطبيعة الوجدانية للقصيدة، فقد هيمن عليها الأسلوب الخبري الذي خلا من التأكيد بالنظر إلى الرغبة في البوح أكثر من الرغبة في الإقناع. ويمكن أن نستثني في هذا الإطار بداية المقطع الثاني من القصيدة الذي يؤكد فيه رامي بأن الحياة روضة، معتمدا «إنَّ» التوكيدية، و«ما» الكافة، وأسلوب القصر البلاغي. فالحياة، في نظره، ليست سوى شيء واحد هو البستان الجميل الذي تفوح منه الروائح العطرة. إلا أن رامي في نهاية القصيدة عمد إلى بعض الأساليب الإنشائية، وهو يناجي عالم الأرواح.

- مرحبا يا عوالم الروح.
- هل لي إليك من يهديني.
- انتقيني من بينهم.
- خذيني.

وقد خرج الاستفهام عن معناه ليفيد التمني، بينما خرج الأمر في الجملتين ليفيد المعنى نفسه.

وكي يُضفي أحمد رامي على القصيدة لمسة جمالية ليستميل بها القارئ حتى يقاسمه تجربته ومعاناته، عمد إلى الإيقاع بنوعية. فعلى مستوى الإيقاع الخارجي، نظم القصيدة على بحر الخفيف الذي تفعيلته (فاعلاتن مستفع لن فاعلا تن)، ووحَّد قافيته (فوني/ 0/ 0/)، وحرف رويها (النون). كما لجأ، في غالب الأبيات، إلى التدوير، وهو شطر الكلمة على شطرين. وقد عزز رامي الإيقاع الخارجي بآخر داخلي تمثل في التكرار والتوازي. نجد في القصيدة تكرارا صوتيا كما الحال في (سكينة ≈ السكون، ضاع ≈ ضياع). ونجد في القصيدة أيضا تكرار الترادف في (الأسى ≈ الشجون)، وتكرار التضاد في (ماض ≈ آجل). وأما التوازي، وهو تكافؤ تركيبي بين مكونات الجمل، فنجده في قول رامي: (أنت أنقى نفسا ≈ أنت أطهر روحا).

نستخلص من معطيات التحليل السابق أن أحمد رامي نظم هذه القصيدة للتعبير عن سأمه من عالم الناس، وتوقه إلى عالم الأرواح والموتى. وقد تعاضدت المعاجم والصور البلاغية والأساليب التركيبية لنقل هذا الإحساس، بينما أضفى الإيقاع على النص لمسة جمال سعت إلى فعل المشاركة الوجدانية. وقد تجلت ملامح الرومانسية في القصيدة بشكل جلي. فهناك ذات وحيدة جفاها النوم وراحت تسرح في تأملاتها، غير أنها لم تجد ضالتها في الإنسان، فراحت تتوق إلى العالم الآخر. وتلك إحدى أهم مقومات القصيدة الرومانسية بشكل عام. ثم إنه باعتماد هذا المنحى الإبداعي، سعى رامي إلى التجديد في مضمونها، وفي التصوير باعتماد تشخيص من نوع خاص تمثل في اعتماده أداة لتعويض الانفصال عن الإنسان الذي اعتبره الشاعر مجرد سلالة من طين. غير أن أحمد رامي ظل وفيا للقدامى في الجوانب الإيقاعية على وجه الخصوص.

ثانيا : درس المؤلفات

ترك نجيب محفوظ (1911- 2006) للخزانة العربية رصيدا وازنا من الأعمال السردية بدءا برواياته التاريخية مثل «كفاح طيبة» و«رادوبيس»، ومرورا بأعماله الواقعية مثل « زقاق المدق» و«القاهرة الجديدة» و«خان الخليلي»... ووصولا إلى أعماله الأخيرة ذات المنحى الرمزي كما الحال بالنسبة إلى روايته «أولاد حارتنا». وضمن هذا المسار الإبداعي السردي، صدرت رواية «اللص والكلاب» بطابع واقعي رمزي ينتقل من معطيات معيشة إلى دلالات وأبعاد تحيل عليها الأحداث والقوى الفاعلة. ثم إن هذا العمل السردي نُشر في ظرفية خاصَّة وهشَّة وحمَّالة أوجه.

أمامنا مقطعان من هذه الرواية يردان كلاهما في الفصل الرابع منها. يشير المقطع الأول إلى انتهازية عليش وتواطؤ نبوية، بينما يشير المقطع الثاني إلى فظاعة ذنب رؤوف علوان. وقد افتُتح هذا الفصل بنقد لاذع لرؤوف علوان اتهمه فيه سعيد مهران بالخيانة واللؤم.

والواقع أن القوى الآدمية الثلاث تشترك في الانتهازية التي تشكل بدورها قوة فاعلة غير آدمية. وقد تمثلت انتهازية عليش سدرة ونبوية في تربصها بسعيد مهران والوشاية به لدى الشرطة ليخلوَ لهما الجو، وليستفيدا مما تركه من ممتلكات. وأما انتهازية رؤوف علوان فتمثلت في الانقلاب على المبادئ التي كان يروج لها ويدعو الآخرين، بمن فيهم مهران، إلى تبنيها من ثورة ورفض واستقامة. فبمجرد تغير وتيرة الأحداث، تسلَّق علوان المناصب، وانتهز الفرص حتى صار من علية القوم. ثم إن مهران ذهب إليه علَّه يمنحه فرصة للعيش والاندماج، غير علوان ازدراه، فعمَّق هذا الازدراء الرغبة في الانتقام لدى سعيد مهران. هكذا أسهمت هذه الانتهازية بأوجهها الثلاثة في نمو أحداث رواية «اللص والكلاب». فلأنها تحققت، قرر علوان الانتقام ففشل فيه حتى انتهى في قرافة يطارده البوليس والكلاب.

يتبين، إذن، أن الانتهازية حضرت في رواية «اللص والكلاب»، بشكل مركزي، إذ إنها تشكل الأساس الذي انبنت عليه الحبكة. وبذلك تكون هذه الرواية قراءة نقدية للمجتمع المصري في النصف الثاني من القرن الماضي.